ترجمة المؤلف
الشيخ الإمام الحكيم ابن مِسْكَوَيْه

اسمه ونسبه:

هو أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مِسْكَوَيْه المؤرخ، والفيلسوف، والطبيب ، والأديب.

اسمه بالفارسية (مشكويه) وتعريبه هو (مسكويه) والاسم مأخوذ من اسم تابع من توابع الري، إلا أن هناك خلطاً في اسم أبيه، فهو نفسه يقول في بعض كتبه إنه (أحمد بن محمد مِسْكَوَيْه) ومرة أخرى يقول: (أحمد بن يعقوب مِسْكَوَيْه)، وقد أدى هذا إلى عدم تثبت المؤرخين المحدثين ، بل والمعاصرين له فسموه (ابن مِسْكَوَيْه) معتبرين مِسْكَوَيْه اسم أبيه أو جده . إلا إن أبا علي في كثير من كتبه، مثل : العقل والمعقول، والشوامل ، ورسالة في اللذات والآلام، ومقالة في النفس والعقل، يقول إنه (أبو علي مِسْكَوَيْه)، وكذلك أيضًا: كان يعرفه بعض معاصريه، مثل أبي حيان التوحيدي، وأبي بكر الخوارزمي، والثعالبي.

مولده:

لا يعرف شيئًا عن تاريخ ولادته، ولكن بما أنه يشير إلى كثرة تردده على أبي محمد المهلبي، وزير معز الدولة البويهي، وأنه استقى معلوماته عنه سنة ٣٢٠هـ وما بعدها، وفي موضع آخر يقول: إنه كان مصاحبًا للمهلبي سنة ٣٤١ هـ، فبديهي أن عمره يومئذ لم يكن ليقل عن عشرين سنة، فلابد أن تكون ولادته في حوالي سنة ٣٢٠هـ، ويكون قد توفي وهو في حوالي المائة سنة من عمره .

حياته:

عن سنوات حياته الأولى لا يوجد ما يعتمد عليه، ولكن يبدو أنه لم يقض سنوات حداثته في راحة وطمأنينة، وهو يذم أسلوب أبويه في تربيته، والظاهر أن أباه كان يحمله على حفظ الشعر الجاهلي وروايته، وأنه كان في أوائل شبابه كثير اللهو، ولكنه سعى بعد ذلك إلى تهذيب نفسه ونجح فيه .

كانت لمِسْكَوَيْه علاقات وثيقة مع وزراء آل بويه وأمرائهم في شؤون الديوان والمكتبات والأمور المالية، وفي منادمتهم ومصاحبتهم، والأخذ والعطاء في ميدان

العلم والأدب، ولهذا أمضي معظم سنوات حياته في مدن متفرقة مثل، الري، وبغداد، وشيراز، وأصفهان، وأحسب أن طلب العلم كان له دخل في تلك الرحلات .

كان مِسْكَوَيْه من الري أصلا، ولعله قضى العقدين الأولين من عمره فيها، ثم التحق بالبويهيين في بغداد، وأمضي نحو اثنتي عشرة سنة مصاحبًا ونديمًا خاصًا لأبي محمد المهلبي، وزير معز الدولة.

ثم قضى سبع سنوات بصحبة أبي الفضل ابن العميد، وزير ركن الدولة البويهي يدير مكتبته في الري. والظاهر أنه بعد ذلك دخل في خدمة أبي الفتح ابن العميد وزير ركن الدولة ومؤيد الدولة. وبعد مقتل أبي الفتح رفض مِسْكَوَيْه خدمة الصاحب بن عباد، الوزير الجديد لمؤيد الدولة، الذي كانت بينهما منافسة. وحتى بعد موت الصاحب ابن عباد لم يغفر له وقدح فيه في شعره .

ثم التحق أبو علي بعضد الدولة، سلطان آل بويه الكبير، في شيراز وأصبح أحد ندمائه ورسله ، وعهد إليه بإدارة مكتبته وبيت ماله، وبقي في منصبه هذا حتى مات عضد الدولة . كانت تلك المكتبة تجمع جميع مصنفات ذلك الزمان، وإلى هذا يشير مِسْكَوَيْه ، كما ألف باسمه كتاب تجارب الأمم، وفي المقدمة أشار إلى كونه من موظفيه. وكان عضد الدولة قد عين مكانا في قصره وبالقرب منه لجمعية الحكماء والفلاسفة ليجروا مناقشاتهم العلمية فيه، وكان هو نفسه من أعضاء الجمعية البارزين .

وإذ تسلم صمصام الدولة الحكم بعد أبيه ازدادت علاقة مِسْكَوَيْه به، وكان يحضر المجالس العلمية التي كان يعقدها ابن سعدان، وزير صمصام الدولة، حيث كان يحضر أيضا أشخاص مثل ابن زرعة، وابن الخمار، وابن سمح، والقومسي، ونظيف الرومي، ويحيى بن عدي وعيسى بن علي. وبعد صمصام الدولة، ظل مِسْكَوَيْه في خدمة رجال الدولة الآخرين في بلاط الري . في أول الأمر كان هو وجمع آخر من العلماء، مثل ابن سينا والبيروني، في خدمة خوارزم شاه، ولكنه رفض الالتحاق بخدمة السلطان محمود الذي كان قدطلب تلك الجماعة من خوارزم شاه، إلا ان هذا ليس مؤكدا ولا يعدو ان يكون مجرد أقاويل .

أمضي أبو علي أيامه الأخيرة في أصفهان وفيها توفي ودفن في محلة تسمى (خواجو)، وقيل: إنه دفن في محلة اسمها درب جناد أو جناب .

شيوخه وتلاميذه:

لا يعرف الكثير عن أساتذة مِسْكَوَيْه، فهو يقول في التهذيب: في شبابي شجعني أبي لدراسة الأدب والشعر .

وفي مكان آخر يقول: إنه قرأ استطالة الفهم للجاحظ.

يقول ابن حيان في الإمتاع: إن مِسْكَوَيْه أبدى رغبة شديدة في الكيمياء وتتلمذ فيها على أبي الطيب الكيميائي الرازي، كما شغف بكتب محمد بن زكريا الرازي وجابر بن حيان. وكانت له التفاتات نحو التاريخ فدرس تاريخ الطبري على ابن كامل الذي كان من أصحاب محمد بن جرير الطبري. ودرس علوم الأوائل (اليونان) عند ابن الخمار، وقد برع في هذه العلوم، و خاصة في المنطق والطب حتى لقب ببقراط الثاني .

بعض المؤرخين يعتبرون مِسْكَوَيْه أستاذ أبي حيان، ودليلهم في ذلك كتاب الهوامل والشوامل الذي أجاب فيه مِسْكَوَيْه عن أسئلة ابن حيان، ودلائل أخرى، مثل رسالته ماهية العدل أو مقالته في ماهية الكيمياء، إذ إنهما أيضًا ردود أسئلة ابن حيان، التي يوردها بلحن التلمذة.

معاصروه:

كانت لأبي علي علاقات وطيدة مع الحكماء والعلماء والأدباء في عصره، من هؤلاء كان أبو سليمان السجستاني الذي اعتبر مِسْكَوَيْه من كبار علماء العصر ومدحه كثيرًا، كما جاء في كتابه "صوان الحكمة" الذي ألفه في حياة مِسْكَوَيْه عن رجال العلم والحكمة .

كان تعامل أبي حيان التوحيدي مع مِسْكَوَيْه، مثل تعامله مع سائر معارفه العلماء، متناقضًا ، فمرة هو مسرور ومادح، وأخرى هو غير مسرور وقادح، متهمًا مِسْكَوَيْه بالتقلب والبخل . . . وفي الوقت نفسه يصف شعره بالجمال وألفاظه بالطهارة، ويعتبره «كنز العلوم العجيبة وأسرار الحكمة».

ومن المقربين إليه كان أبو بكر الخوارزمي. أما بديع الزمان الهمداني الذي خاصم معاصريه، بمن فيهم الخوارزمي، أحنى رأسه احترامًا لمِسْكَوَيْه وتعظيمًا ولم يهاجمه.

من معاصري مِسْكَوَيْه الآخرين في النصف الثاني من عمره كان ابن سينا، الذي ولد يوم كان مِسْكَوَيْه في الخمسين من عمره، يقولون: إن ابن سينا لم يجد مِسْكَوَيْه

سريع الفهم، وفي يوم جمعهما مجلس حيث كان طلاب مِسْكَوَيْه حاضرين ، فرمى ابن سينا جوزة نحو مِسْكَوَيْه وقال له: «احسب مساحتها!» فألقي إليه مِسْكَوَيْه رسالة له في الأخلاق وقال :

ابدأ أنت بتهذيب أخلاقك أولاً حتى أقوم أنا بحساب مساحة الجوزة، لأنك أحوج إلى تهذيب أخلاقك مني إلى استخراج مساحة الجوزة!

مؤلفاته:

يذكر المؤرخون أن له مؤلفات كثيرة تشمل الكتب والرسائل والمقطوعات الشعرية العربية والوصايا، ولكنها لم تصل إلينا جميعها .

المطبوع منها يشمل :

١ - تجارب الأمم، وهو أشهر كتب أبي علي التاريخية، وتوجد منه عدة نسخ، كما طبعت فصول منه .

٢ - ترتيب السعادات ومنازل العلوم . طبع هذا الكتاب في مصر تحت عنوان السعادة (١٩٢٨)، وطبع في طهران تحت عنوان ترتيب السعادات (١٣١٤هـ) في حاشية مكارم الأخلاق للطبرسي، وفي السنة نفسها طبع ملحقا بكتاب المبدأ والمعاد للملا صدرا .

٣ - تهذيب الأخلاق وطهارة الأعراق في فلسفة الأخلاق، وقد نشر مرات عديدة في الهند والقاهرة واسطنبول وبيروت . وهو يبين نظريات مِسْكَوَيْه في الحكمة العملية .

٤ - الحكمة الخالدة الذي ينسب إلى هوشنگ پيشدادي، وقد ترجمه حسن بن سهل إلى العربية، وأكمله مِسْكَوَيْه . ويشتهر هذا الكتاب باسم آداب العرب والفرس ، ويدور حول حكمة الإيرانيين، والهنود، واليونانيين والعرب .

٥ - بعض الرسائل والمقالات القصيرة في الفلسفة، نشر بعضها في دمشق والقاهرة وليدن .

٦ - رسالة في دفع الغم من الموت (لماذا أخاف الموت) هذه الرسالة جزء من تهذيب الأخلاق لمِسْكَوَيْه، ولكن مرن نسبها إلى ابن سينا ونشرها ضمن مجموعة رسائل الشيخ الرئيس . وأشار شيخو إلى هذا الخطأ في مجلة المشرق . وقد نشر نص هذه الرسالة وترجمتها في قم سنة ١٣٢٧هـ.

٧ - الفوز الأصغر ويحتوي على ثلاث مسائل، ونشر في بيروت (١٣١٩ هـ) والقاهرة (١٣٢٥ هـ) ونشر في طهران مع فوز السعادة (١٣١٤ هـ).

٨ - فوز السعادة ، وهو، كما يقول الشيخ آقا بزرگ في الذريعة، غير ترتيب السعادات .

٩ - لغز قابس (لوح قابس) هذا في الواقع جزء من كتاب الحكمة الخالدة ، وقد طبع عدة مرات، منها في مدريد (١٧٩٣م) وفي باريس (١٨٧٣م) وفي الجزائر (١٨٩٨م).

١٠ - الهوامل والشوامل. (الهوامل) هي مجموعة أسئلة أبي حيان التوحيدي، والشوامل هي أجوبة مِسْكَوَيْه عنها . وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م في القاهرة برعاية أحمد أمين وأحمد صقر .

مؤلفاته الخطية:

١ - رسالة في ذكر الحجر الأعظم ، في الكيمياء . توجد نسخة منه في مكتبة جامعة طهران .

٢ - رسالة في الكيمياء، توجد نسخة منه في مكتبة أصغر مهدوي الخاصة .

٣ - رسالة في ماهية العدل، النسخة الوحيدة لهذا الكتاب موجودة في مكتبة آستان قدس رضوي، تحت العنوان الكامل : رسالة الشيخ أبي علي أحمد بن يعقوب مِسْكَوَيْه إلى علي بن محمد أبي حيان الصوفي في ماهية العدل .

٤ - كتاب الأشربة، في العقاقير الطبية . مختارات منه موجودة في مكتبة صائب في أنقرة .

٥ - كتاب في ترتيب الباجات من الأطعمة (كتاب الطبيخ) توجد نسخة منه في مكتبة أحمد ثالث باسطنبول .

٦ - الكنز الكبير، في الكيمياء . توجد نسخة منه في مكتبة بشير آغا .

٧ - نديم الفريد (أنس الفريد) القندوزي الحنفي ينقل عن هذا الكتاب احتجاج المأمون في قضية ولاية عهد الإمام الرضا.

وهناك من مؤلفاته المفقودة التي لم يعثر عليها، منها:

١ – رسالة إلى بديع الزمان الهمداني، وهي نظم ونثر، جوابا عن رسالة بديع الزمان الاعتذارية.

٢ – مجموعة شعرية تضم أمثلة لشعر أبي علي .

٣ – عهد أبي علي مِسْكَوَيْه مع نفسه الذي يذكره الحموي تحت عنوان وصيته .

٤ – وصية مِسْكَوَيْه، وهي نصائح يقدمها للباحثين عن الحكمة، وهي موجودة في صوان الحكمة لأبي سليمان . كما أن أبا علي قد ذكرها في الحكمة الخالدة في فصل حكمة حكماء الإسلام، من دون ذكر اسمه .

ومن مؤلفاته المفقودة الأخرى كتاب الفوز الأكبر .

أفكاره الفلسفية:

بذل أبو علي جهوده في أكثر ميادين الحكمة النظرية والعملية، وخاصة في فن تهذيب الأخلاق، بحيث أن بعضهم وصفه بـ"المعلم الثالث". كان ينظر إلى التاريخ بصفته مختبراً للفلسفة العملية، وهو متأثر أكثر من غيره بأفكار أرسطو وأفلاطون، فهو مرة أرسطوي ومرة أفلاطوني، بحسب الموضوع والبحث الفلسفي. في كتابيه تهذيب الأخلاق والفوز الأصغر يشير أيضا إلى سقراط وجالينوس وفيثاغورس وفرفريوس وبرقلس وينقل عنهم وينقدهم، ولكنه كان قليل الاهتمام بالرواقيين.

وعلى صعيد الإسلام فقد عني بفلاسفة مثل الكندي وأبي عثمان الدمشقي وأبي الحسن العامري، كما كان يستند إلى القرآن والحديث. وفي الحكمة النظرية كتب كتابين: الفوز الأصغر والفوز الأكبر، وهذا الأخير مفقود، ولكن يظهر أنه كتِب على غرار الفوز الأصغر بتفصيل أوسع.

ويرى إقبال اللاهوري أن فلسفة ما بعد الطبيعة عند ابن مِسْكَوَيْه هي أكثر انتظاما من فلسفة الفارابي. فالقسم الأول من الفوز الأصغر في عشرة فصول يدور حول إثبات الصانع. والقسم الثاني أيضًا في عشرة فصول مختصرة حول معرفة النفس وفي المعاد. القسم الثالث من الكتاب في عشرة فصول أيضًا وتدور حول النبوة.

أما في الحكمة العملية فلمِسْكَوَيْه ثلاثة كتب مهمة: تهذيب الأخلاق وترتيب السعادات والحكمة الخالدة. إن الهدف من تهذيب الأخلاق هو الوصول إلى الإنسان الخير بالتعلم المستمر حتى يصبح ملكة من ملكات النفس.

إسهاماته في الطب:

من الميادين الأخرى التي ولجها أبو علي هو ميدان الطب. يقول الحموي: إن له كتابًا في هذا الباب باسم الجامع، ويعتقد آخرون أنه كتبه على غرار كتاب الجامع الكبير المعروف بالحاوي لمحمد بن زكريا الرازي. وله كتاب آخر باسم في الأدوية المفردة. وكتابه الآخر هو تركيب الباجات من الأطعمة أو كتاب الطبيخ، وكتابه الثالث هو كتاب الأشربة.

إسهاماته في الكيمياء:

يقول أبو حيان التوحيدي: إن مِسْكَوَيْه قد بذل جهودًا كبيرة في هذا الباب واشتغل زمانًا طويلاً مع أبي الطيب الكيميائي الرازي. وله في هذا الميدان رسالة في الكيمياء، وذكر الحجر الأعظم، ولعله يقصد به حجر الفلاسفة أو الإكسير الأعظم. وثمة رسالة باسم رسالة الحكمة النادرة تنسب اليه أيضاً.

مصادر الترجمة:

إرشاد الأريب (المعروف بمعجم الأدباء) لياقوت، ج ٥، ص ٥ ١٩.

الأعلام لخير الدين الزركلي، ج ١، ص ٢٠٤.

الإعلان والتوبيخ للسخاوي، ص ٣٩ (مسكويه).

الإمتاع والمؤانسة لأبي حيّان التوحيدي، ج ١، ص ٣٢.

تاريخ آداب اللغة العربيّة لجرجي زيدان، ج٢، ص ٣٦٧.

تاريخ الأدب العربي لبروكلمن، ج ٦، ص ١١٩.

تاريخ حكماء الإسلام للقفطي، ص ٣٣١.

تاريخ فلاسفة الإسلام تأليف لطفي جمعه؛ ص ٣٠٤ ٣٢٠.

تاريخ الفلسفة في الإسلام، تأليف دي بور، ص ١٥٨ ١٦٣.

تتمة صوان الحكمة للبيهقي، ص ٢٨ ٢٩.

دائرة المعارف الإسلامية، تعريب محمد ثابت فندي وأصحابه، ج ١، ص ٢٧٧ (ابن مسكويه).

طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، ج ١، ص ٢٤٥.

الفهرس التمهيدي، ص ٢٩١، ٤٦١.

فهرس دار الكتب المصرية، ج ٨، ص ٨٧.
فهرس المخطوطات المصورة لفؤاد السيد، ج ١، ص ٢٣٧.
كشف الظنون لحاجي خليفة:
ج١، ص ٤٣، ٥١٤.
ج٢، ص ١٣٠٣، ١٤٣٦، ١٩٣٧.
معجم أدباء الأطباء للخليلي، ج١، ص ٦٥، ٣٧.
منتخب صوان الحكمة، سلسلة جيب التذكاريّة، المجلد السابع، ص ٣٠.
معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ج٢، ص ١٦٨.
النثر الفني لزكي مبارك، ج٢، ص ١٤٥ ١٥٨.
هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي، ج ١، ص ٧٣ (ابن مسكويه).